باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب ([1])

قال المصنف رحمه الله **(باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب)**

وقول الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ) الآية.([2])

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل). أخرجاه.([3])

ولهما في حديث عتبان: (فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله).([4])**وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال موسى: يا رب، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال: يا موسى: قل لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله الله في كفة، مالت بهن لا إله الله) [رواه ابن حبان، والحاكم وصححه]. (**[5]**)**

وللترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قال الله تعالى: يا ابن آدم؛ لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة). ([6]**)**

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: سَعَةُ فَضْلِ اللَّهِ.

الثَّانِيَةُ: كَثْرَةُ ثَوَابِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ اللَّهِ.

الثَّالِثَةُ: تَكْفِيرُهُ مَعَ ذَلِكَ لِلذُّنُوبِ.

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ.

الْخَامِسَةُ: تَأَمَّلْ الْخَمْسَ اللَّوَاتِي فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ.

السَّادِسَةُ: أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ عِتْبَانَ وَمَا بَعْدَهُ تَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَى قَوْلِ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" وَتَبَيَّنَ لَكَ خَطَأَ الْمَغْرُورِينَ.

---

[1]) هذا الباب قد يعد أول باب إذا اعتبرنا أن السابق مقدمة ، ومن الممكن أن نعتبره الباب الثاني باعتبار أن الباب الأول مقدمة نسميها باب ما جاء في وجوب التوحيد .

[2]) الأنعام :٨٢ .

[3]) رواه البخاري برقم (٣٤٣٥) ، ومسلم برقم (٢٨) .

[4]) رواه البخاري برقم (٥٤٠١) ، ومسلم برقم ٢٦٣ – (٣٣) .

[5]) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان برقم (٦٢١٨) ، والحاكم برقم (١٩٣٦) .

[6]) رواه الترمذي برقم (٣٥٤٠) ولمسلم من حديث أبي ذر بنحوه برقم (٢٦٨٧) .

السَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ لِلشَّرْطِ الَّذِي فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ.

الثَّامِنَةُ: كَوْنُ الْأَنْبِيَاءِ يَحْتَاجُونَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ".

التَّاسِعَةُ: التَّنْبِيهُ لِرُجْحَانِهَا بِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَقُولُهَا يَخِفُّ مِيزَانُهُ.

الْعَاشِرَةُ: النَّصُّ عَلَى أَنَّ الْأَرَضِينَ سَبْعٌ كَالسَّمَوَاتِ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ لَهُنَّ عُمَّارًا.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ، خِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ.

الثَّالِثَةُ عَشْرَةَ: أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ حَدِيثَ أَنَسٍ، عَرَفْتَ أَنَّ قَوْلَهُ فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: (فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ) أَنَّ تَرْكَ الشِّرْكِ، لَيْسَ قَوْلًا بِاللِّسَانِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: تَأَمَّلِ الْجَمْعَ بَيْنَ كَوْنِ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَبْدَيِ اللهِ وَرَسُولَيْهِ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ اخْتِصَاصِ عِيسَى بِكَوْنِهِ كَلِمَةَ اللهِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ كَوْنِهِ رُوحًا مِنْهُ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ فَضْلِ الْإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ قَوْلِهِ: (عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ).

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ.

الْعِشْرُونَ: مَعْرِفَةُ ذِكْرِ الْوَجْهِ.

الـــــشـــــرح :

هذا الباب مهم وفيه عدة مباحث.

قوله" باب فضل التوحيد" أى: فضل التوحيد بأنواعه الثلاثة توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات . وقد يحمل كلام المؤلف علي توحيد العبادة خاصة.

النوع الأول: توحيد الربوبية وهو: توحيد الله جل وعلا بأفعاله كالملك والخلق والرزق والتدبير ونحو ذلك .

النوع الثاني: توحيد الألوهية -أو العبادة - وهو توحيد الله جل وعلا بأفعال العباد ، أو إفراد الله جل وعلا بالعبادة كالصلاة والتوكل و الرغبة و الرهبة و الإنابة إلى غير ذلك.

النوع الثالث : توحيد الأسماء والصفات : وهو إثبات ما أثبته الله جل وعلا لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكيف ولا تمثيل . وهذا التوحيد له فضل عظيم لمن كمل مراتبه ، وهي حسنة عظيمة لا يعادلها حسنة قط ، فمن أتى بهذا التوحيد فقد أتى بحسنة عظيمة تحرِقُ آثارجميع الذنوب والخطايا مهما كبرت أو كثرت ، فالمؤلف عقد هذا الباب لبيان فضل التوحيد ثم قال : وما يُكَفِّرُ من الذنوب ، و[ما] إما أن تكون موصولة أي : وبيان الذنوب التي يكفرها التوحيد ، أو تكون مصدرية أي : وبيان تكفيره للذنوب ، وكلمة الذنوب يدخل فيها جميعُ الذنوب الكبائر والصغائر لأن هذه الحسنة العظيمة وهي التوحيد الخالص لا تترك شيئًا من الذنوب إلا أحرقته وتَرْجُحُ على كل شيء ، فعقد المؤلف هذا الباب لِيُبَيْنَ أن هذا الخير الكثير لهذه الحسنة الكبيرة لمن يأتي بهذا التوحيد مُكَمَّلاً ، وعليه فيكون الحديث عن هذه المسألة : ما ثواب من يأتي بهذا التوحيد مكمَّلاً بمراتبه وشروطه ؟ وما جزاء من نقصمنه؟

فهذا الباب يتكلم عن هذا الأمر الخطير لأهميته ولحث الناس على الاجتهاد في تكميل مراتب التوحيد التي تكلم فيها المؤلف بعد ذلك ، وكذلك حث الناس على الابتعاد عن ضد التوحيد وهو الشرك والتنديد بالصور التي سيذكرها المؤلف وهي بعض أنواع الشرك .

يذكر المؤلف آية واحدة وأربعة أحاديث في هذا الباب :

الآية الأولى: قوله تعالى في سورة الأنعام : { الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ } لما سمع الصحابة رضي الله عنهم هذه الآية الكريمة وسمعوا هذا الشرط وهو قوله (الَّذِينَ آمَنُواْ) بشرط أنهم (لَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ)، فالصحابة رضي الله عنهم حريصون على الخير فأراد كل واحد منهم أن يحظى بهذا الخير العظيم أي يكون له الأمن والهداية لكنهم وجدوا شرطًا صعبًا في الآية فسألوا عنه النبي صلى الله عليه وسلم و هذا الشرط هو قوله: { وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ } أي : لم يخلطوا إيمانهم بظلم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أَيُنا لم يظلم نفسه ؟ ففهموا من الظلم المعنى العام ؛ لأنَّ الظلم معناه اللُغوي وضع الشيء في غير موضعه وهو أنواع : النوع الأول : وهو ظلم العبد لنفسه ، والنوع الثاني : ظلم العبد لغيره من عبادِ الله ، والنوع الثالث : ما يكون فيما بينه وبين ربه جلَّ وعلا . يظلم نفسه بتضييع أوامر الله أو بتعدي حدود الله سبحانه وتعالى ، فالصحابة رضي الله عنهم أشكل عليهم هذا الأمر أيُنا لم يقع في الظلم كثيره أوقليله ؟ فبَيْن لهم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن المقصود بالظلم هنا الشرك وقال لهم: ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح : {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان:١٣][(١)] فبَيْن هنا أن المراد بالظلم في هذه الآية الشرك، إذًا قوله تعالى: { الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ } يعني بشرك

(١) رواه البخاري برقم (٦٩٣٧) ، ومسلم برقم ١٩٧- (١٢٤)

، والشرك هنا يدخل فيه القليل والكثير ، والكبير والصغير . إذًا الشرط هنا أيضًا ليس يسيراً لكي تحظى بما جاء في هذه الآية من الأمن والهداية فإنَّ المطلوب منك أن تبتعد عن الشرك قليلِه وكثيره ، كبيرهِ وصغيره ، وهذا هو الذي يحتاج إلى مجاهدة ،كما قال سفيان الثوري : ما عالجت شيئاً أشد عليَّ من نيتي ، لأنَّهَا تتَقَلَّبُ عَلَيَّ ، وقالوا : الإخلاص عزيز، وكانوا يقولون: يا نفس أخلصي تتخلصي ، يعني أخلصي لله جل وعلا تتخلصي من عذابه ومن نقمته في الدنيا والآخرة ، فالأمر يحتاج إلى مجاهدة ؛ يجاهد الإنسان نفسه على هذا الشرط في كل أعماله في قليلها وكثيرها ، في كبيرها وصغيرها ولابد له من أن يراقب نفسه في هذه المسألة العظيمة التي هي أعظم المسائل وهي أن يجرد العمل ، ويجرد القول من الرياء والسمعة أو من الشوائب ، فأنت لكي تحقق التوحيد تحقيقًا كاملاً لابد بأن تأتي بأربعة أمور :

أولاً: تحقيق التوحيد بتخليصه من الشرك الأكبر .

ثانيًا: تحقيق التوحيد بتخليصه من الشرك الأصغر .

ثالثًا: تحقيق التوحيد بتخليصه من الكبائر .

رابعًا: تحقيق التوحيد بتخليصه من البدع والصغائر .

هذا لمن حقق التوحيد التام ، لأن الأمن التام والهداية التامة لمن حقق التوحيد التام والنقص بالنقص . فنصيبُك من الأمن والهداية في الدنيا والآخرة بمقدار نصيبِك من تحقيق التوحيد بالمعنى الذي ذكرنا ، فكلما نقصت من هذا نقص عليك من الأمن والهداية ، الحصةُ بالحصة .

قوله(لَهُمُ الأَمْنُ) : الأمن قسمان : أمن مطلق ، ومطلق أمن .

النوع الأول : أمن مطلق أى أمنٌ كامل ، والأمن الكامل يكون لمن حقق التوحيد وكَمَّله فجزاؤه أنَّه يأمن دخول النار ابتداءً وانتهاءً أي لا يدخلها أبدًا :لأنه كملَ التوحيد .

النوع الثاني : مطلق الأمن ، له مطلق أمن أي من أتى بشيء من التوحيد فله مطلق أمن أي له أصلُ أمنٍ وذلك لمن خالط توحيدَه شيء من الشرك الأصغر، مطلق أى : أنه لن يخلد في النار كالمشركين أو الكفار وإنما مآله الخروج منها إلى الجنة فهو تحت المشيئة على قول جمهور أهل العلم : بأن الشرك الأصغر واقع تحت المشيئة قد يغفر وقد لا يغفر، ولكن قول بعض المحققين منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم: أن الشرك الأصغر لا يُغفر كالأكبر فيُعذب الإنسان بمقدار هذه السيئة التي هي الشرك الأصغر ، ثم بعد ذلك يكون مآله إلى الجنة ، فهذا الذي خلط توحيده بشرك له مطلق أمن وليس له الأمن المطلق ، ليس له الأمن التام ؛لأن الأمن التام لمن حقق وأتى بالتوحيد التام وهذا هو النوع الأول من الأمن . أمن في الآخرة ، وأيضًا له أمن في الدنيا . فالذي حقق التوحيد وأتى به موعودٌ بالأمن في الدنيا ، والأمن في الدنيا أساسُه

وأصلُه أمنٌ قلبي يأمن قلبُه من عدوه ومن كيد الأشرار و كيد الفجار فقلبه آمن لأنه حقق التوحيد وهو مؤتنس بربه جل وعلا، آمن به جل وعلا . كما كان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : "ماذا يفعلُ أعدائي بي !! إنَّ جنتي وبستاني في صدري ، أينما حللت فهي معي إنَّ نفي سياحة وإن سجني خلوة وقتلي في سبيل الله شهادة"

وبعض أهل العلم يقول: بأنه يدخل في هذه الآية حتى الأمن الدنيوي يأمن في الدنيا ،فالبلدة التي تحقق التوحيد وتُكمِّله تكون موعودة بالأمن أكثر من غيرها من البلاد التي فيها الشرك ، وعبادة غير الله جل وعلا وعبادة الأولياء وعبادة القبور و الأضرحة و الجان و الاستعانة بالجن والاستعانة بالأموات و الذبح لغير لله إلى غير ذلك ؛ لذلك نحن نقول للمسلمين عامة : إذا أردتم الحصول على الأمن فإنَّ عليكم أن تُعَبِّدُوا الناس لربِ العالمين وأن تَحثُوهم على تحقيقِ التوحيد وتجريد العبادة للواحد الأحد فيحصل الأمن للجميع والعكس بالعكس ، وإذا نَفَّرنَا الناس من التوحيد وخَوّفنَاهم من تعلم الدين ، وخوفناهم من إتيان المساجد وحاربناهم فإنه لن يحصل الأمن العام ولكن يحصل للموحد الأمن الخاص فإذا رغبنا الناس في التوحيد وفي تكميل التوحيد وفي تحقيقه حصل الأمن العام واستفاد المجتمع بأسرِه ولم نحتج أن نستغيث بالشرق أو بالغرب.

وقوله{ وَهُم مُّهْتَدُونَ } [الأنعام:٨٢] الهداية في الدنيا والآخرة أي :هم موعودون بهداية في الدنيا وهداية في الآخرة ، الهداية في الدنيا تكون بالعلم والعمل : بالعلم أنهم يُرشدون وَيُدَلّون على طريق العلم فهي هداية إرشاد ، والهداية الأخرى في العمل هي هداية توفيق أي أنهم يوفقون للعمل الصالح ، فالهداية في الدنيا تكون هداية للعلم والعمل ، والهداية في الآخرة هي هدايةٌ إلى طريق الجنة وعلى الصراط للسير إلى الجنة ؛ لأنَّ أهل الباطل وأهل الكفر يقال فيهم : { احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ } [الصافات:٢٢-٢٣] .

فأولئك يُهْدَون والعياذ بالله إلى صراط الجحيم ، أمَّا أهل الإيمان فيُهْدُون إلى صراط الجنان طريق الجنة ، هذه هداية في الدنيا وهداية في الآخرة ، وهذا أمن في الدنيا وأمن في الآخرة ، فما أعظمَ أجرَ من حقق هذا التوحيد وكمَّله. فهذا من فضل التوحيد ، فالعبد إذا سمع هذا فإنه يحرص أشد الحرص على تكميل التوحيد وعلى تحقيقه ، وعلى أن ينشر في الناس هذا الأمر الذي فيه الخير الكثير .

ثم انتقل المؤلف إلى **الدليل الثاني وهو أول حديث في الباب قال : عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » .أخرجاه.**

عُبَادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي أبو الوليد بدري مشهور توفي سنة أربع وثلاثين من الهجرة .

قوله**(من شهد)** : من شرطية لها فعل شرط وهو (شهد) و الشهادة لا تكون إلا بعلم ،لا يصلح للشاهد أن يشهد إلا بعلم ومعرفة قال تعالى:{ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [الزخرف:٨٦] فمعنى الشهادة بلا إله إلا الله: أي تكلم بها ، عارفاً بمعناها ، عاملاً بمقتضاها وما دلت عليه . وحتى تكون هذه الشهادة نافعة لقائلها فلابد لها من سبعة شروط جاءت في النصوص في الكتاب والسنة ، هذه الشروط ذكرها الشيخ حافظ حكمي في منظومته سُلَّم الوصول فقال :

وبشروط سَبْعَة قد قيدت وَفِي نُصُوص الْوَحْي حَقًّا وَردت

فَإِنَّهُ لم ينْتَفع قَائِلهَا بالنطق إِلَّا حَيْثُ يستكملها

ثم ذكرها :

الْعلم وَالْيَقِين وَالْقَبُول والانقياد فادر مَا أَقُول

والصدق وَالْإِخْلَاص والمحبة وفقك الله لما أحبه

وبعض العلماء زاد شرطاً ثامنًا وهو البراءة من الشرك وأهله:

وَزِيدَ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا سوى الإلهِ مِنَ الْأَوْثَانِ قَدْ أُلِهَا

وزيد شرط ثامن وهو الكفرا ن بما سوي الإله أي لابد من أن نتبرأ من الشرك وأهله وأن نكفر بعبادة من سوى الله سبحانه وتعالى.

فصارت الشروط ثمانية : العلم ، واليقين ، والقبول ، والانقياد ، والصدق ، والإخلاص ، والمحبة ، والبراءة من الشرك وأهله ؛ إذًا هذه شروط هذه الكلمة العظيمة .

قوله : (من شهد أنْ لا إله إلا الله) : [أنْ] مخففة

وقوله (وحده) : تأكيد للإثبات ؛لأن : لا إله إلا الله فيها نفي وإثبات ، ففيها نفي وإبطال عبادة كل المعبودات بباطل ثم إثبات العبادة الحقة للإله الحق سبحانه وتعالى.

وقوله(ولا شريك له) تأكيد للنفي ، و[منْ] شرطية وذكر في الحديث خمسة أشياء للحصول على جواب الشرط المذكور في آخر الحديث:

الشرط الأول: شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وسبق الكلام على هذا الشرط.

الشرط الثاني: في قوله(أن محمدًا عبده ورسوله) صلى الله عليه وسلم ،وهو محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي: عبد الله ورسولُه . و نص على هذين اللفظين؛ لأنَّ اللفظين فيهما رد على طائفتين.

الأولى:على الذين يغالون في حقه صلى الله عليه وسلم ولا يعتبرونه عبدًا مملوكاً لله جل وعلا وإنما يرفعونه فوق ، أو إلى ، أو مع مرتبة الألوهية ، وقد مرَّ في تاريخ الإسلام وإلى الآن أُناس يرفعون النبي صلى الله عليه وسلم فوق مرتبة العبودية والرسالة ومنهم البُوصيري صاحب البردة الذي يقول :

يا أكرم الخلق ما لي مَن ألوذُ به سواكَ عند حلول الحادث العمم!

يستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم يقول :

إِن لم تكن في معادي آخذا بيدي فضلا وَإِلَّا فَقل يَا زلَّة الْقدَم

أى إذا لم تأخذ بيدي يوم القيامة لتنجيني وإلا فقل: يا زلة القدم .

فَإِن من جودك الدُّنْيَا وضرتها وَمن علومك علم اللَّوْح والقلم

أي أن الدنيا والآخرة هي هبة من النبي صلى الله عليه وسلم وهي من جوده وهي من منحته . و يعلم ما في اللوح وما كتب القلم .

قال النبي صلي الله عليه وسلم: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم**» ([1])

أى: لا تغالوا في مدحي كما مدحت النصارى عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

يقول : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، قوله: (عبده ورسوله) فأتى بلفظ العبودية للرد على الغلاة الذين لا يجعلونه عبدًا ؛ بل يُعطونه بعض مراتب الألوهية ويؤلهونه مع الله جل وعلا ، فأسمى وصف للنبي صلى الله عليه وسلم وصفه بالعبودية والرسالة قال تعالى: { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً } [الإسراء:١] في تلك الليلة ليلة المعراج التي كان فيها تسلية وتشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وَعُرِج به إلى هذه الأماكن العالية ووصفه ربه بالعبودية لكي لا يأتي أحد يقول: عروجه هذا العروج يفيد أنه انفصل من وصف العبودية إلى كونه مَلَكًا أو غير ذلك !فإنه وإن صعد في السموات وفوق السموات فإنه لا يزال عبدًا لا يُعْبَد صلى الله عليه وسلم ، ونبه بقوله :(ورسوله) على الرد على المكذبين برسالته صلى الله عليه وسلم وفيها رد أيضًا على التاركين لاتباعه صلى الله عليه وسلم قال تعالى { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } [الأحزاب:٢١] ففيها حض على اتباعه وترك مخالفته صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

---

[1]) رواه البخاري برقم (٣٤٤٥) .

قوله : (وأن عيسى عبد الله ورسوله) : هذا الشرط الثالث : الشهادة بأن عيسى عبد الله ورسوله .

وعيسى بن مريم وهى ابنة عمران وليست هي أخت موسى وهارون ابنا عمران عليهما السلام، وإنما كان بنو إسرائيل يُسَمُون بأسماء أنبيائهم ، فعيسى بن مريم عبد الله ورسوله ، فقوله (عبد الله) : فيها رد على النصارى الذين اختلفوا في عيسى فمنهم من قال هو ابن الله ، ومنهم من قال : هو الله ، ومنهم من قال : ثالث ثلاثة تعالى الله عن إفكهم علواً كبيراً قال تعالي: { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ } [آل عمران:١٥٩] فجمع في هذا الحديث بين عبدين ورسولين محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، لبيان اشتراكهما في البشرية والعبودية والرسالة لكن هناك فرق بينهما؛ فمحمد عليه الصلاة والسلام وُلِد من أب وأم ، وعيسى عليه السلام وُلِد من أم بلا أب . وهذا الفرق هو سبب ضلال النصارى لذلك قال بعدها : { وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ } [النساء :١٧١] ، فقوله(ورسوله) : فيها رد على مَنْ كَذّب برسالةِ عيسى وهم اليهود عليهم لعائن الله الذين اتهموه بأنه ابن زانية وأرادوا قتله وشُبه لهم فقتلوا شبيهًا به ظانين أنهم قتلوا عيسى عليه السلام قال تعالى: {...بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ } [النساء:١٥٨] ، وقال {...وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً } [النساء:١٥٧] لكن شبه لهم شبهٌ به فقتلوه .

أما النصارى فقد دحض الله جل وعلا حجتهم بقوله : { وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ } [النساء :١٧١] هذه الكلمة هي سبب ضلال النصارى حيث ظنوا أن الكلمة تجسدت وصارت جسدًا هو عيسى فوقعوا في القول بإلهيته أو أنه ابن الله ،فعيسى كان بأمر الله (كن) فكان ؛ وليس عيسى هو الكلمة نفسها كما زعمته النصارى.

قوله(وروح منه): أي روح من الأرواح التي خلقها الله جل وعلا وأوجدها كما قال تعالى : { وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ } [الجاثية:١٣] فليست السماوات جزءاً من الله ولا الأرض ولكنها منه أي من إيجاده وخلقه سبحانه وتعالى ، وأهل العلم يقولون : بأن المضافَ إلى الله جل وعلا نوعان : إما إضافة أوصاف ، أو إضافة أعيان .

النوع الأول : إضافة أوصاف: لا تقوم بنفسها ولا تقوم بمخلوق كما تقول: كلمة الله ، هل الكلمة تقوم بنفسها أم لابد لها من ذات تقوم بها ؟ لابد لها من ذات تقوم بها فيكون هذا المضاف صفة لله سبحانه وتعالى كعزةِ الله ، أو كلمة الله ، وقدرة الله ونحو ذلك .

النوع الثاني : إضافة أعيان: تقوم بنفسها أو بغيرها كبيت الله أو كناقة الله ، وهذه لا تصلح أن تكون وصفًا لله جل وعلا لأنها أعيان مخلوقة ، وهذه الإضافة لها فائدتان : إما أن تكون إضافة خلق وملك وإيجاد كما تقول : هذه أرض الله، هذه سماؤه فهذه إضافة ملك وإيجاد وخلق ، وإما أن تكون إضافةَ تشريف كبيت الله ونحو ذلك . و في

هذا الحديث الشرط الثالث: (**من شهد أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**) : أي روح من الأرواح التي خلقها وأوجدها ، فالإضافة هنا إضافة خلق وإيجاد وتشريف له عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

قوله : (والجنةَ حق) : هذا الشرط الرابع يشهد العبد بأن الجنةَ حقٌ ، أى: أنها موجودة وأنها معدة لأولياء الله وأنها مخلوقة الآن ، وهذا فيه رد على الجهمية الذين يقولون بأن الجنة لم تعد وكذلك النار ، وأن إعدادها الآن عبث مع أنه قد جاء في الحديث الذى رواه الشيخان : « **أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأيت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر** » (1)، وقال تعالى : { سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ **أُعِدَّتْ** لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ } [الحديد: ٢١] فذكر أنها أعدت ، وقال فى النار: { فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أعدت للكافرين} [البقرة:٢٤] وفى الحديث الصحيح"اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين... " (2)

وهذا يدل على وجودها الآن.

قوله(والنار حق): هذا هو الشرط الخامس من شهد بهذه الخمسة أدخله الله الجنة هذا الجواب جواب الشرط : **أدخله الله الجنة على ما كان من العمل** .

قوله(على ما كان من العمل): فيها تفسيران لأهل العلم ، الأول: أدخله الله الجنة حتى لو كان عمله يسيرًا ، الثانى: أدخله الله الجنة وتكون مراتبهم في الجنة على قدر أعمالهم ، وسواء كان هذا أو ذاك فإن هذا وعدٌ كريم من الله جل وعلا بأن من حقق هذه الخمسةَ دخل الجنة ، ودخوله الجنة كما قلنا بحسب إتيانه بهذه الخمسة ، وبحسب تحقيقه لمراتب التوحيد التي سبق ذكرها، فمن حَقّق التوحيد وأتى به تامًا مُكمَّلاً كان له الأمن التام والهداية التامة الكاملة . وأنه يدخل الجنة بغير حساب ، ولا عذاب ، ومن نقص فبحسبه الحصة بالحصة ، والنقص بالنقص .

فهذا الحديث فيه رد على عدد من الطوائف والفرق كاليهود والنصارى و كذلك الصوفية ، وكذلك فيه رد على الخوارج لقوله في آخر الحديث : « ... **أدخلَه الله الجنَّة على ما كان من العمل** » أي: وإنْ كان العمل يسيرًا ، و فيه رد على المرجئة لقوله **(على ما كان من العمل):** لأنهم يخرجون العمل الظاهر من مسمى الإيمان.

الدليل الثالث في هذا الباب هو حديث عِتبان رضي الله عنه ، قوله : وفي حديث عتبان بن مالك يقول صلى الله عليه وسلم : « **فإنَّ الله حرَّمَ على النارِ منْ قالَ لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله** » .

---

(1) رواه البخاري برقم (٣٢٤٤) ، ومسلم برقم (٢٨٢٤) .
(2) رواه البخاري برقم (٣٢٦٠) ،ومسلم برقم ١٨٥ - (٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وعتبان بن مالك هو ابن عمرو بن العجلان الأنصاري ،والحديث في البخاري من رواية **مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيُّ** ([1]) ، **أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الأَنْصَارِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي فَإِذَا كَانَتِ الأَمْطَارُ سَالَ الوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ عِتْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ البَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ» قَالَ: فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَبَّرَ، فَقُمْنَا فَصَفَّنَا فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، قَالَ وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرَةٍ صَنَعْنَاهَا لَهُ، قَالَ: فَآبَ فِي البَيْتِ، رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ، فَاجْتَمَعُوا، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِنِ أَوِ ابْنُ الدُّخْشُنِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لاَ تَقُلْ ذَلِكَ، أَلاَ تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ " قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى المُنَافِقِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ "**

الشاهد قوله :**لا تقل ذلك ، أليس قال : لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟!** وهذا الدليل استدل به المؤلف على ما يريده من الترجمة : فضل كملة التوحيد ، وأن من قالها وأتى بشروطها وحقوقها فإنَّ الله يُحَرِّم عليه النار ، والكلام هنا على مسألتين :

المسألة الأولى : ما معنى التحريم هنا ؟

- إذا أتت كلمة التحريم على النار في النصوص حَرَّمَ أو حُرِّمَ على النار فإنها تحتمل أحدَ معنيين :

المعنى الأول : أنه تحريم أبدي بالموحدة ، أي : تحرم عليه النار أبدًا يعني لا يدخلها ابتداءً ، كأن يكون من الذين يدخلون الجنة بغير حساب أي ولا عذاب الذين سيأتى الكلام عليهم إن شاء الله في باب : من حقق التوحيد دخل الجنة بلا حساب أي وبلا عذاب ، أو يكون ممن قد غُفِرَ له وليس من أولئك المذكورين في الحديث فيدخل الجنة ولا تمسه النار فهذا حُرِم على النار تحريمًا أبديًا .

المعنى الثاني : تحريم بعد أمدٍ [بالميم] ، أي: يُعذَّب في النار مدة من الدهر ثم بعد ذلك يحرُم عليها أبدًا ، إذًا فهذا تحريم بعد أمد أي بعد فترة . وهذا يُعرف بدلالة السياق ودلالة النصوص الأخرى .

---

[1]) رواه البخاري برقم (٤٢٥) ، ومسلم برقم ٢٦٣ – (٣٣) .

المسألة الثانية : قوله (يبتغي بذلك وجه الله): شيخ الإسلام له كلمة طيبة في هذا يقول فيها :

(إن المبتغي لا بد أن يكمل وسائل البغية، وإذا أكملها حرمت عليه النار تحريما مطلقا، فإذا أتى بالحسنات على الوجه الأكمل، فإن النار تحرم عليه تحريما مطلقا، وإن أتى بشيء ناقص، فإن الابتغاء فيه نقص، فيكون تحريم النار عليه فيه نقص، لكن يمنعه ما معه من التوحيد من الخلود في النار، وكذا من زنى، أو شرب الخمر، أو سرق، فإذا فعل شيئا من ذلك ثم قال حين فعله: أشهد أن لا إله إلا الله أبتغي بذلك وجه الله، فهو كاذب في زعمه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن "([1]) فضلا عن أن يكون مبتغيا وجه الله) أ.هـ وهذه كلمة مهمة جدًا ، المبتغي الذي يبتغي وجه الله خاصة هنا في هذا المبحث ، ويبتغي عمومًا عمل أي شيء لابد أن يُكمل وسائل البغية ، (فإذا أُكْمِلَت حُرِّمَ على النار مطلقًا) ، يعني إذا أكمل وسائل البغية يريد وجه الله أي يُكمل الوسائل التي توصله إلى مرضاة ربه جل وعلا حُرِّمَ على النار مطلقًا يعني تحريمًا أبديًا يعني لا تسمه النار ، وإن كان الابتغاء فيه نقص - في عمله وسعيه - فيكون التحريم عليها فيه نقص ، وإن كان السعي من هذا الذي يبتغي وجه الله ناقصاً فيكون تحريم النار عليه ناقصاً ، أي: يدخل النار وتمسه لكنه لا يَخْلُدُ فيها ، وبعبارة أخرى : الصادق في سعيه لابد أن يَستكمل الأسباب الموصلة لمرضاة الله سبحانه وتعالى ، بعض الناس يقول : أنا أبتغي وجه الله وهو لا يعمل شيئاً، أو مقيم على المعاصي !! يكون فعله مكذبًا لقوله ، نقول له : إذا كنت تبتغي وجه الله فلابد أن تأتي بوسائل البغية .

وهنا سؤال ما هي وسائل البغية ؟

الجواب : هي شروط كلمة التوحيد وسبق بيان أن معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله ، وأنَّ كلمة (لا إله إلا الله) فيها نفي وإثبات ، نفي لجنس الآلهة المعبودة بباطل ثم إثبات العبادة الحقة لله الواحد الأحد ، ولم يدخل الإله الحق في النفي حتى نستثنيه ، أي لم يدخل في النفي عندما قلنا (لا إله) تنفي جنس الآلهة المعبودة بباطل. و(إلا الله) إثبات للإله الحق المستحق للعبادة ، فالنفى والإثبات ركنا كلمة التوحيد.

وشروط كلمة التوحيد سبعة :

<u>**الشرط الأول**</u> : وهو العلم بمعناها المنافى للجهل: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا ، أى نفى استحقاق الآلهة المزعومة للعبادة من دون الله عز وجل ، ثم إثبات هذه العبودية الحقة للإله الواحد الأحد و إفراد الله جل وعلا وحده بالعبودية والألوهية .

والعلم:هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا ، قال تعالى : { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } [محمد :١٩] والكثير يقولون هذه الكلمة ولا يعلمون معناها ، ولا يتعلمون

[1]) رواه البخاري برقم (٢٤٧٥) ، ومسلم برقم ١٠٠ – (٧٥) .

معناها ، وبعضهم لا يحب أن يتعلم معناها أو ليس عنده اهتمامٌ أو عنايةٌ بتعلم معناها .

الشرط الثاني: اليقين المنافى للشك وهو كمال العلم أو اليقين المنافي للريب .

ما الفرق بين الشك والريب ؟ الشك يكونَ في علم القلب ، أما الريب يكون في علم القلب وفي عمله ،علم القلب يعني اعتقاده ، وعمل القلب أعماله كالمحبة ، والتوكل ، والخوف ، والرغبة ، والرهبة إلى غير ذلك ،يقول ابن مفلح : **وَذَكَرَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ أَنَّ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ فِي أَصَحِّ قَوْلَيْ الْعُلَمَاءِ إنَّمَا الْوَاجِبُ الصَّبْرُ وَذَكَرَ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} [الحجرات: ١٥] .**

فَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ رَيْبًا عِنْدَ الْمِحَنِ الَّتِي تُقَلْقِلُ الْإِيمَانَ فِي الْقُلُوبِ، وَالرَّيْبُ يَكُونُ فِي عِلْمِ الْقَلْبِ وَعَمَلِهِ بِخِلَافِ الشَّكِّ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إلَّا فِي الْعِلْمِ فَلِهَذَا لَا يُوصَفُ بِالْيَقِينِ إلَّا مَنْ اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَإِلَّا فَإِذَا كَانَ عَالِمًا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ الْمُصِيبَةَ أَوْ الْخَوْفَ أَوْرَثَهُ جَزَعًا عَظِيمًا لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ يَقِينٍ." اهـ (١)وقال شيخ الإسلام: (القلب المستيقن هو القلب الذي اطمئن واجتمع فيه علم القلب وعمله). فهذا شرط مهم جدا: اليقين بهذه الكلمة ومادلت عليه. و هذا اليقين لابد له أن يجتمع معه علم القلب بهذه الكلمة وما دلت عليه و عمل القلب.

الشرط الثالث : القبول المنافي للرد ، فقد يقول قائل أنه يعلم ومستيقن بهذه الكلمة لكنه يرُدها ويردُ ما دلت عليه تعصبًا وَكِبْرًا ، كلما تقول له شيئاً يرده ، تقول له : هذه من لوازم كلمة التوحيد يقول : لا ، هذا الكلام غير صحيح أو أنا لا أصدق هذا ، أو أنا لا أصدق أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول هذا ، فأصبح كلامه مجرد قول باللسان فقط ، ليس عنده قبول لهذه الكلمة ولا لما دلت عليه ، ولا قبول مقتضيات هذه الكلمة .

الشرط الرابع: الانقياد المنافي للترك ، قد يأتي إنسان عنده العلم بما يقول وعنده اليقين على ما يَزعُم ويقول أنه قبلها بلسانه لكنه تارك للعمل بها وبمقتضياتها ، فهذا ليس عنده انقياد ؛ لم يحقق الانقياد ، فالترك الذي عنده يدل على أنه لم ينقد لهذه الكلمة العظيمة كلمة التوحيد ولما دلت عليه .

الشرط الخامس : الصدق المنافي للكذب ، وهذا الصدق المنافي للكذب مانع من النفاق ؛ لأن المنافق يقولها بلسانه لكن يُبطن الكفر بقلبه ، فمن شروط هذه الكلمة أن يكون صادقًا : قد وافق ظاهرُه باطنَه و باطنُه ظاهرَه .

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (٣/١)

الشرط السادس : الإخلاص المنافي لضده من الشرك بكل صوره ، وابن القيم -رحمه الله تعالى –في النونية يُفَسِّر هذا الإخلاص بكلمات يسيرة يقول ([1]):

وَحَقِيقَةُ الإِخلاَصِ تَوحِيدُ المُرَادِ فَــلاَ يُزَاحِمُــهُ مُــرَادٌ ثَــانِ

فالإخلاص أنْ تجعل أعمالك وأقوالك لواحد فقط وهو الله جل وعلا ، كما قيل :

فلواحد كن وَاحِدًا فِي وَاحِد أعنى سَبِيل الْحق والايمان

(فلواحد) أي لله جل وعلا، (كن واحدًا في واحدٍ) في طريق واحد ألا وهو اتباع النبي صلى الله عليه وسلم . فحقيقة الإخلاص هو توحيد المراد فلا يزاحمه مراد ثاني، فإذًا هذا هو الإخلاص.

ويقول أيضًا عن الصدق من باب تفسير هذه الكلمة السابقة :

والصدق توحيد الإرادة وهو بذ ل الجهد لا كسلا ولا متوان

إذًا الإخلاص توحيد المراد وهو الله جل وعلا الذي تريده بعملك وتعمل له ، والصدق توحيد الإرادة وفسرها بقوله : (وهو بذل الجهد لا كسلاً ولا متوانٍ) ليس عنده فتور وليس عنده كسل في عمله وفي سعيه يجمع همه وجهده على ما يُقَرِّبه لربه جل وعلا وما يرضي ربه جل وعلا عنه .

والإمام أحمد رحمه الله عندما سئل عن الصدق والإخلاص قال : بهما ارتفع القوم .

يعني يتمايز الناس بهذين الأمرين العظيمين ، قد تجد شخصين يعملان أعمالاً عظيمةً لكن بينهما في الأجر والثواب والقبول أعظم مما بين السماء والأرض ، وقد تجد شخصين أحدهما يعمل عملاً يسيرًا والثاني يعمل عملاً كثيرًا من جنسه ولكن هذا الذي عمل عملاً يسيرًا أجره أعظم بمراحل من الذي يعمل كثيرًا بسبب الإخلاص والصدق لذلك الإمام أحمد يُبَيْن منزلة هذين الشرطين في هذه الكلمة اليسيرة ، يقول : بهما ارتفع القوم .

وقال بكر بن عبد الله المزني: « ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في القلب ». ([2])

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير الإخلاص : الإخلاص محبةُ الله وإرادةُ وجهه ، فهذا الشرط عظيم ومهم جدًا ويحتاج إلى مجاهدة الإنسان نفسه على الإخلاص ،

---

[1]) توضيح المقاصد لابن عيسى الجزء (٢ / ٢٥٧)

[2]) رواه الحكيم الترمذي ، وذكره العراقي في تخريج الإحياء .

وهذا لن يأتي بالغفلة ، لأن بعض الناس لا يحاسب نفسه ولا يقف مع نيته ، ولا يسترجع نيته في أقواله وأعماله ،لأن الغفلة تقتل هذه المعاني وتطبع على القلب وتُنَسِّي الإنسان هذه الأمور العظام الذي بها ارتفع أولئك في خضم الحياة فيَنسى الإنسان هذه الأصول العظيمة ؛ لذلك كان من المهم جدًا أن يتفقد الإنسان مجالس العلم ويتذاكر فيها هذه الأمور العظيمة ، كما قال علي رضي الله عنه : كن عالمًا أو متعلمًا ، ولا تكن الثالث فتهلك ، فالناس إما عالم وإما متعلم ، وإما همج رِعاع([1]).

<u>الشرط السابع</u> : المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه ، المحبة المنافية للبغض ، فهناك أناس يبغضون ما دلت عليه هذه الكلمة ، وينقمون عليها ، ويحاربون ما دلت عليه ، لا يعجبهم شيء فيريدون هذه المعاني على أهوائهم وعقولهم .

<u>الشرط الثامن</u> أن تكفر بتلك الآلهة المزعومة والمألوهة والمعبودة من دون الله جل وعلا .

فلو جاءنا من يقول : أنا أعبد الله جل وعلا وأدين له بالعبادة وآتي بكل ما أمرني به لكن لا أكفر بمن سواه من المعبودات كائناً ما كان ، ويأتي بكل شيء من أمور العبادة القولية والفعلية في زعمه ، نقول له : لا يتم لك ذلك إلا بأن تتبرأ من جميع تلك الآلهة المزعومة والمعبودة والمألوهة من دون الله جل وعلا لقوله تعالى : { فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ } فقدَّم الكفر بالطاغوت ، والطاغوت : كل ما عبد من دون الله ، {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ } [البقرة :٢٥٦] وهذا الذي في هذه الآية هو بنفسه معنى لا إله إلا الله أي النفي والإثبات .

فهذه ثمانية شروط لهذه الكلمة ، فمن أتى بهذه الكلمة العظيمة بشروطها ومقتضياتها وأكمل وسائل البُغية التي تقربه إلى الله جل وعلا وأتى بها كاملةً تامةً حظي بالإيمان التام ، وحظي بالوعد التام وهو الأمن التام والاهتداء التام ، والنجاة من النار وأن لا تمسه النار أبدًا ، ومن نقص فيها كان عليه بمقدار ذلك النقص .

قال أبو العالية: كلمتان يُسأل عنهما الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ، وماذا أجبتم المرسلين ؟

<u>الدليل الرابع</u> :

قوله :وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال موسى : يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به ، قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله ، قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا ؟ قال : يا موسى ، لو أنَّ السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله » رواه ابن حبان والحاكم وصححه . ([2])

---

[1]) "جامع بيان العلم وفضله" (١/ ١٤٥ – ١٤٩)، و"المقاصد الحسنة" (ص ٦٨).

[2]) سبق تخريجه .

راوى الحديث هو أبو سعيد الخدري رضى الله عنه واسمه سعد بن مالك بن سنان وهو صحابى جليل توفى سنة ٧٤هـ .

وفيه أن موسى عليه السلام يريد أن يختص بذكر دون غيره ، فلما دُل على هذه الكلمة قال : كل الناس يقولونها ، يعني كل أهل الإيمان يقولونها ، فهو يريد شيئًا آخر يختص به - فقال الله عز وجل له : يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهنَّ - أي من فيهن من الملائكة والعبّاد -، غيري - أي غير الله جل وعلا- والأرضين السبع في كفة ، فلو جمعت السموات السبع ومن فيها من الملائكة والأنبياء والأرضون السبع ووضعتا في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهنَّ لا إله إلا الله .

هذا واضح في الدلالة على ترجمة فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب وعظم ثواب وأجر هذه الكلمة العظيمة ، لكن هذا الحديث هناك من يتكلم فيه من جهتين ولن نتكلم على متن الحديث لأن متنه واضح ، لكن نتكلم عن كلمة واحدة فقط سببت إشكالاً عند بعض الناس ثم هذا الإشكال جَرَّهُ إلى الكلام على تضعيف الحديث من ناحية السند ؛ لأن هذا الحديث من رواية دراج بن سمعان الذي يكنى بأبي السمح .

هذه الكلمة التى استشكلها البعض هى قوله (لو أن السموات السبع وعامرهن غيري) ، فظن أنَّ هذه الكلمة : عامرهن غيري تفيد الحلول ، أو تفيد أن السموات تُقِل الله جل وعلا أو تظله فوضع هذا الحديث في أحد أعداد مجلة التوحيد المصرية ووضعه ضمن الأحاديث التي يحذر منها الداعية ، وهذا التَصَرف فيه نظر من ناحيتين :

الناحية الأولى : أن هذا الفهم لهذا الحديث لم يفهمه أهل العلم الذين خرَّجوا هذا الحديث سواء في كتب الأصول أوغيرها ؛ لأن هذا الحديث مخرج في السنن الكبرى للنسائي وصحيح ابن حبان وفي مسند أبي يعلى ، وفي مستدرك الحاكم وذكره ابن عبد البر في [التمهيد] .

الناحية الثانية: أن شُرَّاح كتاب التوحيد وهم كثر وقبل هؤلاء الشُرَّاح الإمام المجدد نفسه الذي وضع هذا الحديث في هذا الباب وبعد ذلك جاء شُرَّاح الكتاب كالشيخ/ سليمان بن عبد الله و الشيخ / عبد الرحمن بن حسن والشيخ عبدالرحمن بن قاسم جامع الفتاوى، ومشايخنا كالشيخ ابن باز والشيخ العثيمين و الشيخ / صالح الفوزان والشيخ / صالح آل الشيخ . كل هؤلاء لم يستشكلوا هذه الكلمة ، إذًا لم يستشكلها لا الأولون ولا الآخرون الذين شرحوا كتاب التوحيد وفسروها التفسير المعروف عند أهل السنة بأنَّ السموات فيها الملائكة ، والرب جل وعلا في العلو سبحانه وتعالى فوق السموات العلا فوق عرشه جل وعلا ، فهو جل وعلا إذا قيل في السماء فالمقصود في العلو أو فوق السماوات لذلك قال في الحديث : وعامرهن غيري ، أي غير الله جل وعلا ، وهذا واضح بأدنى تأمل ، أما من ناحية الإسناد فقد يُدْرس الإسناد وقد يتوصل إلى ضعفه أو عدم ضعفه فالأمر فيه يسير، لكن كون الشخص يحكم على الإسناد بأنه إسناد تالف أو هالك بناء على جزئية معينة فهمها فالخطورة في هذا .

وأما من ناحية السند :

فهذا الحديث ورد من طريقين :

الأول : من رواية عبد الله بن لهيعة القاضي المصري ؛ الذي احترقت كتبه فاختلط بعد احتراقها ؛ وروايته جاءت عند أبي يعلى والبغوي في شرح السنة وعند أسد بن موسى في الزهد .

الثاني : من رواية عمرو بن الحارث عن دراج بن سمعان المكنى بأبي السمح ؛ يروي عن شيخه أبي الهيثم سليمان بن عمرو العتواري ـ تلميذ أبي سعيد الخدري الذي تربى في حجره ـ وهو أحد الثقات ؛ لكن الخلاف في دراج بن سمعان ؛ فضعفه الإمام أحمد وأبو حاتم ؛ ووثقه يحيى بن معين قال عثمان الدارمي: سألت يحيي بن معين عن دراج فقال : ثقة . وقال عباس الدوري تلميذ الإمام يحيى بن معين : سألت يحيى بن معين عن دراج فقال: ثقة ، وقال يحيى في رواية عثمان بن سعيد الدارمي : ليس بكل ذاك وهو الصدوق ، وقال ابن شاهين : ما كان بهذا الإسناد فليس به بأس . وفي نسخ تقريب التهذيب اضطراب في دراج ؛ ففي بعضها : في نسخة الحافظ ابن حجر : صدوق ؛ في حديثه عن أبي الهيثم ضعف ، وفي نسخة أخرى : صدوق عن أبي الهيثم ؛ ضعيف ، لكن الذي يظهر أن الحافظ ابن حجر يمشي حديث دراج عن أبي الهيثم لأنه قال في الفتح : رواه النسائي في السنن ـ يعني الكبرى ـ وإسناده صحيح ؛ وقد يقال عندئذ أن العبارة المعتمدة للتقريب : صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ؛ ضعيف ، وهذا موجود في بعض النسخ ؛ لكنه يخالف نسخة المؤلف .

وممن خرج هذا الحديث من رواية عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم : ابن حبان في صحيحه ـ مع الترتيب ـ برقم (٦٢١٨) ، والحاكم وصححه في مستدركه برقم (١٩٣٦) ، والطبراني في كتاب الدعاء برقم (١٤٨٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٢٧) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٦٠٢) قال ابن حجر وإسناده صحيح ، وفي عمل اليوم والليلة برقم (١١٤١) وقال ابن حجر بعده في الفتح : فيؤخذ منه أن الذكر بلا إله إلا الله أرجح من الذكر بالحمد لله ـ وهذا فيه مناقشة ليس هذا محل الكلام عليها ـ ، والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق الحاكم .

ومن شواهد هذا الحديث :

ما جاء في المسند من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وفيه **(إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعى ابنيه ؛ نهاهما عن الشرك والكبر وأمرهما بلا إله إلا الله ؛ وقال : فإن السماوات والأرض وما فيهما لو وضعا في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الآخري كانت أرجح ؛ ولو أن السماوات والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لفصمتها ؛ أو لقصمتها)** والحديث صححه ابن كثير في البداية والنهاية ـ كما ذكر أحمد شاكر وصححه ـ وكذلك صحه الألباني في تعليقه على الأدب المفرد ، وصححه كذلك محققو المسند في مواضع .

وله شاهد آخر من حديث أنس رضي الله عنه ؛ رواه الشجري في أماليه ؛ ذكره القاضي العبشمي محي الدين محمد بن أحمد في ترتيب الأمالي من حديث موسى ابن هارون الحمال عن شيبان قال : **حدثنا سعيد بن راشد حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعا :لو جيء بالسماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن فوضعت في كفة ميزان ؛ وجيء بلا إله إلا الله فوضعت في الكفة الآخرى لرجحت بهن) .**

وله شاهد آخر عند الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢٥٤) من حديث ابن عباس ؛ قال فيه الهيثمي في المجمع : رجاله ثقات إلا أن ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس .

وهذه الشواهد لا شك أن الحديث يصح بها .

وحاصل هذا الحديث أن العبد إذا بلغت ذنوبه ما بلغت حتى لو بلغت ملء السموات وملء الأرض ووضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة ـ إذا كان قالها آتيا بشروطها ومقتضياتها وعارفًا بمعناها ـ فإن ثواب هذه الكلمة العظيمة أعظم مما أتى به من الذنوب والخطايا ولو بلغت ما بلغت .

الدليل الخامس :

قال : وللترمذي ـ وَحسنَّه ـعن أنسٍ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئًا ، لأتيتك بقرابها مغفرة » .

أي: ما يقارب ملء الأرض ، يقال قِراب وقُراب بالكسر والضم .

هذا الحديث أصله في صحيح مسلم من حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أ زيد إلى أن قال : ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة) .

قوله : (ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا) وهذا فيه السلامة من الشرك قليله وكثيره ، كبيره وصغيره ، فقوله (شيئًا): نكرة في سياق النفي فتعم الشرك كله . وفيه الرد على الخوارج والمعتزلة الذين يُكَفِّرون بالكبائر ويقولون بأن الذي يموت على الكبيرة بدون توبة فإنه خالد مخلد في النار ، وأهل السنة يقولون : لا يعطى الاسم المطلق ولايسلب مطلق الإسم . يعني اسم الإيمان المطلق بل يقال : مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، ويسمى عند أهل السنة بالفاسق الملي أى الفاسق من أهل الملة .

قوله: فيه مسائل :

الأولى : **سعة فضل الله** .

لقوله في حديث عبادة بن الصامت (أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) أى سواء قلنا بأن المراد العمل الصالح وإن كان قليلاً ، أو العمل السيئ وإن كان كثيرًا ،

أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ، وهذا يدل على سعة فضل الله سبحانه وتعالى .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

تؤخذ من حديث أبي سعيد الذي في آخره : **مالت بهنَّ لا إله إلا الله** ، فهي تدل على كثرة ثواب التوحيد عند الله وأن هذه الكلمة العظيمة من أتى بها وبشروطها ومقتضياتها رجحت على سيئاته وان بلغت ما بلغت ، فهذا يدل على كثرة ثواب التوحيد عند الله جل وعلا ، ومن الممكن أنْ تؤخذ من باقي الأدلة التي أوردها.

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .

أى: تكفير التوحيد للذنوب ، يؤخذ من حديث أنس : **« يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة »** تدل على تكفير التوحيد للذنوب .

الرابعة : تفسير الآية (٨٢) التي في سورة الأنعام { الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ } ، ***سبق الكلام عليها.***

الخامسة : تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة . سبق الكلام عليها .

السادسة : أنك إذا جمعت بينه - يعني حديث عبادة - وبين حديث عتبان وما بعده ، تبين لك معنى قول لا إله إلا الله ، وتبين لك خطأ المغرورين .

وهذه لأنَّ كلا الحديثين يدل على ضرورة العمل ، ذكر في الحديث : **(على ما كان من العمل)** فهذا يدل على أهمية العمل وضرورته وأنَّ المغرورين الذين ظنوا أنهم بمجرد الكلمة ينالون هذا الفضل العظيم تَبَيْن أنَّ هذا من الغرور والأماني ، والأماني كما يقال : رأس مال المفاليس { تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة :١١١] ، فالمغرورون يظنون أنهم يدخلون الجنة بغير عمل ، والحديث يقول : **« يبتغي بذلك وجه الله »** ، ومن ابتغى شيئًا اجتهد في نيل البُغية ، واجتهد في تحصيل وسائل البغية التي يريدها ، والحديث الذي قبله حديث عبادة : **« أدخله الجنة على ما كان من العمل »** ، فكلا الحديثين حديث عتبان وحديث عبادة يرد على المغرورين الذين يظنون أنهم يدخلون الجنة بدون عمل .

السابعة : التنبيه بالشرط الذي في حديث عتبان .

وهو **يبتغي بذلك وجه الله** ، وسبق بيان أنه لابد من الاجتهاد في تحصيل وسائل البُغية إذا صدقت وخلصت نيته .

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله .

وهذه مأخوذة من حديث أبى سعيد الخدري ، والمراد هنا موسى عليه السلام ، وكذلك صح الحديث بأنَّ نوحًا عليه السلام طلب ذلك من الله جل وعلا فأجيب إلى ما

أجيب إليه موسى ، أى دُل على كلمة التوحيد ، فإذا كان أولوا العزم من الرسل يحتاجون إلى التنبيه إلى فضل هذه الكلمة العظيمة ، كلمةِ التوحيد فما بالك بغيرهم من الأنبياء خاصة ومن الناس عامة فهم أحوج ما يكونون لتنبيههم إلى فضل هذه الكلمة ، وهذا نسوقه إلى الوعَّاظ والخطباء الذين يخطبون الناس في الجُمع ويحاضرونهم ويعظونهم ، فلابد لهم من تنبيه الناس إلى فضل هذه الكلمة العظيمة ، ولا تقل كما يقول بعض الجُهَّال : الناس كلهم يعرفونها ، ويعرفون فضلها ، ويعرفون شروطها وأركانها ! هذا الكلام لا يصدر إلا من إنسان جاهل ، مغرور ، فالناس يحتاجون إلى التعريف وإلى التذكير وإلى الإرشاد مادامت بهم حياة.

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه .

فإن المنافقين في الدرك الأسفل من النار مع أنهم يقولون :لا إله إلا الله ، وكانوا يخرجون للجهاد مع المسلمين ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ،أي يأتون بكلمة لا إله إلا الله وببعض العبادات ومع ذلك فإنها لا تنفعهم ؛لأنهم لم يحققوا شروطها ، فالمنافقون فقدوا أحد الشروط العظيمة وهو الصدق فيها ؛لأنهم كانوا كاذبين في النطق بها فكانوا يقولونها بألسنتهم ويكذبونها بقلوبهم. فالكثير ممن يقولونها يخف ميزانه لأنه لم يأت بشروطها وأركانها ومقتضياتها ، فالإنسان لا يغتر ، ولكن عليه أن يجتهد في تحصيل شروطها والعمل بمقتضياتها .

فهذه الأحاديث التي تُثْبِتُ أَنَّ مَنْ قال لا إله إلا الله دخل الجنة مقيدة بأحاديث أخرى سبق ذكر بعضها عند الكلام على ذكر شروط كلمة التوحيد .

العاشرة : النص على أن الأرضين سبع كالسموات .

دليله من القرآن : قوله تعالى:{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ } [الطلاق :١٢] ، وهذه المسألة من الناحية الواقعية والعلمية المعاصرة الآن لا نجد لها تفسيرًا إلا أننا نقول : نؤمن بما جاء في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ندري كيفية ذلك ، أي التنصيص على أن الأرضين سبع كالسموات ، بعض أهل العلم يجتهد في هذا يقول : الأرضين السبع يعني سبع طبقات أو سبع أرضين كل أرض مثل الأرض التي نحن عليها وكل أرض أرسل إليها نبي مثل أنبيائنا وهكذا ، فالأمر على كل حال فيه إشكال وكتب التفسير تكلمت في هذا والمفسرون خاضوا في هذا ، وإلى الآن ليس هناك وضوح في هذه المسألة من الجهة الواقعية ،على كل حال هذا الأمر من ناحية البحث عنه نظريًا أو علميًا لن يؤثر فينا كثيرًا من ناحية الاعتقاد فنحن نعتقد أن الأرضيين سبع كالسموات ونحن لا نعلم كيفية ذلك وقد جاء في حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه **قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ**

ظَلَمَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِين "[1] وربما يأتي وقت من الأوقات يكتشفون هذا الأمر كما اكتشفت أشياء كثيرة جدًا لم يكن الناس يعقلونها من قبل ، فنحن نؤمن بما جاء فى كتاب الله وبما جاء في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإنْ كنا لا نعرف كيفيته .

الحادية عشرة : أن لهن عمارًا .

والعمار هم الملائكة ومَنْ شاء الله جل وعلا من عباده كمن رفعه الله إليه كعيسى وإدريس عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

الثانية عشرة : إثبات الصفات ، خلافًا للأشعرية .

وفي بعض النسخ خلافًا للمعطلة ، ففي حديث عتبان إثبات صفة الوجه ، وهو من الصفات الذاتية الخبرية التي ثبتت بالنص ، وأيضا في حديث أبي سعيد الخدري إثبات صفة الكلام لقوله : **قال يا موسى** ، وقال الله تعالى : { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } [يس :٦٠] ، وقوله : { وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ } [النساء :١٧١] فهذه كلها تدل على إثبات صفة الكلام للرب جل وعلا خلافًا للجهمية والمعتزلة ، وخلافًا للأشاعرة الذين يثبتون الكلام النفسي القديم ويقولون : بأن الرب جل وعلا لا يتكلم بحرف ولا بصوت يسمع ، وفيه أيضا إثبات صفة السمع بنوعيه ؛لأنه جل وعلا سمع نداء موسى وأجابه خلافا للجهمية والمعتزلة الذين يفسرون السمع بالمسموع أي بمخلوقات منفصلة.

الثالثة عشرة : أنك إذا عرفت حديث أنس ، عرفت أن قوله في حديث عتبان : « فإنَّ الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » أن ترك الشرك ليس قولها باللسان .

وهذه المسألة سبق بيانها في أول الكلام أن من لهج بشيء وأراده فإنه يجتهد في البحث عن البغية التي توصله إليه ، أى الوسائل الموصولة إلى هذا الشيء لقوله : **يبتغي بذلك وجه الله** ، وليس فقط مجرد القول باللسان ، فلابد أن يصدق فعلُكَ قولَك.

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه .

جمع بين هذين النبيين الكريمين عليهما الصلاة والسلام لإثبات عبوديتهما ثم خصَّ عيسى عليه السلام بخصوصية ليست في نبينا صلى الله عليه وسلم فالنبي محمد عليه الصلاة والسلام وُلد من أب وأم ، أمَّا عيسى عليه السلام فولد من أم بلا أب لكنهما اشتركا في وصف العبودية والرسالة وفي كونهما عبدين مخلوقين .

الخامسة عشرة : معرفة اتصاف عيسى بكونه كلمة الله .

---

[1]) رواه البخاري (٢٤٥٢) ، ومسلم برقم **١٣٧** – (١٦١٠) .

معنى هذا أنه كان بالكلمة التى ألقاها إلى مريم وليس هو الكلمة ، فكان عيسى بكلمة (كن) وليس عيسى هو الكلمة نفسها فالكلمة لم تتجسد وتصبح عيسى ، وإنما كان عيسى بأمر الله وبكلمته سبحانه وتعالى .

وهذا فيه بحث في الحقيقة أن أصل الضلال الذي حصل عند النصارى في صفة الكلام ، وهذا الضلال وقع فيه من هذه الأمة فِرَق عديدة ومن هؤلاء الأشاعرة الذين ضلوا في صفة الكلام والجهمية والمعتزلة ، فالأشاعرة ضلوا ضلالاً عظيمًا في صفة الكلام وقبلهم الكُلابية ، فإن الكلابية يقولون : بأن القرآن حكاية عن كلام الله وليس هو كلام الله جل وعلا ، والأشاعرة يقولون : هو عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله جل وعلا عبَّر به جبريل أو عبَّر به النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك من الأباطيل.

فانظر إلى وجه المشابهة العجيبه فى ضلالهم في صفة الكلام وقارنه بضلال النصارى في فهم هذه الصفة حتى جعلوا عيسى هو الكلمةَ نفسها تجسدت فصارت إلهًا ، وانظر إلى الضلال عند الأشاعرة وعند الكلابية كيف نفوا عن الله جل وعلا هذه الصفة واضطربوا في تأويلها ، ووفق الله جل وعلا أهل السنة والجماعة فنطقوا بما نطقت به النصوص وأنَّ القرآن كلام الله جل وعلا حقيقة وتكلم به حقيقة ، وأن الله جل وعلا يتكلم بحرف وصوت يسمع .

السادسة عشرة : معرفة كونه روحًا منه .

أي أنه روح من الأرواح التى خلقها الله تعالى فـ [مِنْ] بيانية وليست تبعيضية كما زعم النصارى الضالون . وسبق بيان ذلك .

السابعة عشرة : معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار .

حيث جعل الإيمان بهما مع المذكورات ثوابه دخول الجنة على ما كان من العمل.

الثامنة عشرة : معرفة قوله « على ما كان من العمل » .

معنى (على ما كان من العمل)سواء كان هذا العمل عملاً صالحًا وإن كان قليلاً فالمقصود أن المؤمن وإن أتى بعمل صالح قليل لكنه أتى بهذه الكلمة العظيمة كلمة :لا إله إلا الله ومقتضياتها ولم ينقضها بشرك فإنَّ الله جل وعلا يدخله الجنة وإن كان عمله قليلاً ، أو على ما كان من العمل السيئ وإن كان كثيرًا طالما أنه أتى بهذه الشروط المذكورة في الحديث بأنه يدخله الجنة بفضله ومنه وكرمه.

التاسعة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان .

من أين تؤخذ ؟

الجواب : ربما أشار المؤلف رحمه الله إلى أن ثواب هذه الكلمة لو وزن فى ميزان الآخرة لرجح على ماذُكر وقصد بهذا الرد على المعتزلة الذين يؤولون الوزن بالقسط

والعدل وينفون الميزان الحقيقى الذى له كفتان ولسان كما قال ابن عباس ، وقد يقال إن المؤلف حصل عنده انتقال ذهن فانتقل إلى ميزان الآخرة وليس هو مقصود هنا .

العشرون : معرفة ذكر الوجه .

وهوصفة من الصفات الخبرية الذاتية التي تثبت بالدليل السمعي النقلي ، فهناك صفات تثبت بالعقل حتى ولو لم يرد النص بها كالعلو مثلاً ـ علو الله جل وعلا ـ لو لم يرد نص أنه جل وعلا في العلو فإنَّ العقل يثبت العلو لله جل وعلا ؛لأن الإنسان العاقل الذى لم يتلوث عقله يقول إن العالي أفضل من السافل وأعظم ، وهكذا إثبات بعض الصفات الأخرى كصفة الحياة وصفة العلم ونحو ذلك ؛ لو لم ترد بالنص فإنَّ العقل يثبتها بطريق اللزوم أو التضمن ، ولكن هناك صفات خبرية ذاتية أو فعليةلا تثبت إلا بالنص كصفة الاستواء على العرش مثلاً ، لو لم يرد نص بأنَّ الله جل وعلا استوى على العرش أي: علا على عرشه وارتفع فإننا لا نثبت الصفة إلا إذا ورد النص ، فصفة الاستواء على العرش صفة فعلية ، أما الصفات الذاتية الخبرية كصفة الوجه والعينين واليدين ونحو ذلك من الصفات الثابتة في النصوص فهذه لابد فيها من الدليل السمعى ، والمقصود من هذا بيان أن حديث عتبان بن مالك يدل على إثبات صفة الوجه وأهل السنة يثبتونها على ما يليق بالله جل وعلا مِنْ غَيْرِ: تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ: تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيل .

والله أعلـــم